

الفصل السادس

ضحايا الباطجة وسوء التوافق النفسي

إن مفهوم التوافق في الأصل مفهومًا بيولوجيًا على نحو ما حدده «دارون»، فالتوافق لديه يعني قدرة الكائن الحي على التلاؤم مع ظروف البيئة وما يطرأ عليها من تغيرات، بحيث تتحقق المحافظة على الحياة (صلاح مخيمر، 1984، 11)، ويستخدم المفهوم في عالم الحيوان باسم التكيف Adaptation وقد استعار علماء النفس مفهوم التكيف وأعادوا تسميته بالتوافق Adjustment. ولقد اختلف العلماء في المفهومين، فمنهم من يرى أن التوافق والتكيف متساويان، ومنهم من يفرق بينهما، فيرى مصطفى فهمي (1979، 23) أن التوافق النفسي (التكيف) عبارة عن عمليات دينامية مستمرة يهدف بها الفرد أن يغير من سلوكه ليحدث توافقًا أكثر بينه وبين نفسه من جهة، وبينه وبين البيئة من جهة أخرى.

ومنهم من يرى أن التوافق أعم من التكيف «ويكاد معناه يكون قاصراً على النواحي النفسية والاجتماعية، بينما التكيف يختص بالنواحي الفسيولوجية، وبذلك تصبح عملية تغيير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره، وذلك بإتباعه للعادات والتقاليد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية لعملية التوافق، وتصبح عملية تغيير حدقة العين باتساعها في الظلام وضيقها في الضوء الشديد عملية تكيف».

ويرى آخرون أن التكيف يشمل الإنسان والحيوان في علاقته مع البيئة التي يعيش فيها، وقد يحدث تحولات في كيانه لمواجهة المشكلات والصعوبات المفروضة عليه من البيئة، أما التوافق فهو مفهوم خاص بالإنسان في سعيه لتنظيم حياته وحل صراعاته ومواجهة مشكلات حياته من توترات وإحباطات وصولاً إلى الرضى النفسي.

فالتوافق هو الرضا بالواقع المستحيل على التغيير، ولكن في سعي دائم لا يتوقف لتخطي الواقع الذي يفتح للتغير على طريق التقدم والصيرورة، والتوافق هو تزاوج النقيضين، وائتلاف بين المألوف والجديد، وبين الجمود والمرونة وبين الحياة والعدم، وبين سلبية الاستسلام الذي يستحيل تغييرها وبين الإيجابية في الابتكار لما يفتح للتغيير، وبغير هذه الإيجابية لا يكون ثمة توافق، أي أن الديالكتيكية التوافق تقتضي المزاوجة بين الرضا بالواقع المنغلق على التغيير وبين الواقع المنفتح للتغيير (صلاح مخيمر، 1996، 1-2).

ويبين فرج طه وآخرون (2009، 422) أن التوافق يعني أن يحقق الفرد نجاحاً في مواقف حياته المختلفة، فيستفيد منها أو يتحاشى قدر الإمكان أضرارها. والتوافق النفسي يتضمن إشباع حاجات الفرد ودوافعه بصورة لا تتعارض مع معايير المجتمع وقيمه، ولا تورط الفرد في محظورات تعود عليه بالعقاب، ولا تضر بالآخرين أو بالمجتمع.

ومن خلال التعريفات السابقة يرى المؤلف برؤية التحليل النفسي أن الفرد المتوافق هو الذي يخلو من الصراعات الشعورية واللاشعورية، كما أنه يتمتع بالمرونة مع مطالب النمو في المراحل المختلفة، أي أن هذا الشخص يتمتع بأننا قوية تستطيع أن توازن بين الهو والأنا الأعلى. بينما يرى

السلوكيون أن توافق الفرد متعلم، وعليه أن يساير المجتمع بما فيه من تقاليد ومعايير ولا يصطدم معها.

ويمكن تعرف التوافق النفسي بأنه: قدرة الفرد على الانسجام مع نفسه والرضا بما قسم الله له مع السعي الدائم للتقدم، وقدرته على مواجهة مشكلاته وإحباطاته، وكذلك قدرته على الانسجام مع بيئته ومرونته مع التغيرات التي تطرأ عليها حتى يحقق لنفسه الشعور بالرضا النفسي والاجتماعي.

أبعاد التوافق

يشمل التوافق مجالات عديدة من حياة الفرد، وسوف يركز المؤلف على: التوافق الشخصي، والتوافق الاجتماعي، والتوافق الأكاديمي، والتوافق الأسري؛ لارتباطهما بالمتغير الأساسي للدراسة وهو البلطجة.

التوافق الشخصي

هو أن يكون الفرد راضياً عن نفسه، غير كاره لها أو نافر منها أو ساخط عليها، كما تتسم حياته النفسية بالخلو من التوترات والصراعات النفسية التي تقترن بمشاعر الذنب والقلق، ويتضمن السعادة مع النفس والرضا عن النفس، وإشباع الدوافع والحاجات الداخلية الأولية الفطرية والعضوية والسيكولوجية والثانوية والمكتسبة، ويعبر عن «سلم داخلي» حيث يقل الصراع الداخلي، ويتضمن كذلك التوافق لمطالب النمو في مراحل المتابعة. وعليه يكون ضحايا البلطجة أناس غير متوافقون شخصياً، ويعانون من الضغوط النفسية والتوترات والقلق بل ومشاعر الذنب التي تنتج من عدم قدرته على مواجهة بلطجة الآخرين، فهو في صراع دائم مع النفس، ولقد بينت دراسة C.M. Wienke Totura et al (2009) أن ضحايا البلطجة يعانون من مشكلات نفسية أهمها القلق والاكتئاب والشعور بالوحدة وتدني احترام الذات.

التوافق الاجتماعي

يتضمن السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية والامثال لقواعد الضبط الاجتماعي وتقبل التغير

الاجتماعي، والتفاعل الاجتماعي السليم والعمل لخير الجماعة، كما يرى البعض أنه قدرة الفرد على عقد صلات اجتماعية راضية مرضية، تتسم بالتعاون والتسامح والإيثار، لا يشوبها العدوان أو الاتكال أو عدم الاكتراث لمشاعر الآخرين. وقد أثبتت الدراسات أن ضحايا البلطجة أكثر قلقاً وانسحاباً من المجتمع وانخفاضاً لاحترام الذات عند المقارنة بمن يتنمرون عليهم (Graham, Bellmore, & Mize, 2006).

ويوضح فرج طه وآخرون (2009، 421) أن التوافق الاجتماعي خاص بالعلاقات الاجتماعية، حيث ينجح الفرد في عقد علاقات متبادلة مع الآخرين والمحافظة طويلاً عليها، وتتميز بإحساس متبادل بالود والسعادة والراحة في التواجد معاً، والتعاون المتبادل في قضاء حاجة كل منهم، والنجاح في تحقيق مصالح الفرد المعتمدة على الآخرين، بحيث يحققونها له بترحاب وسعادة مع تذييل أي صعوبات.

التوافق الأكاديمي

هو المحصلة النهائية للعلاقة الديناميكية البناء بين الطالب من جهة ومحيطه المدرسي من جهة أخرى، والتي تسهم في تقدم الطالب ونمائه العلمي والنفسي، وتتمثل أهم المؤشرات لتلك العلاقة في الاجتهاد في التحصيل العلمي، والرضا والقبول بالمعايير المدرسية والانسجام معها، والقيام بما هو مطلوب منه على نحو منظم ومنسق، فالطالب المتوافق يندمج مع زملائه ويساعدهم إذا احتاج أحدهم إليه، علاوة على أنه محبوب لديهم، وغير المتوافق على النقيض من ذلك تماماً. أضف إلى ذلك أن الطالب المتوافق على علاقة طيبة

بأساتذته، ويشعر نحوهم بالمودة والاحترام ولا يجد صعوبة في الاتصال بهم والتحدث إليهم، بالإضافة إلى أنه يشارك في الأنشطة الاجتماعية والثقافية. ولقد أثبتت البحوث والدراسات أن الطلاب ضحايا البلطجة غالباً ما يعانون من العزلة الاجتماعية، والحجل المرضي، وغير مهتمون بتكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين، كما أنهم معرضون لخطورة الفشل الدراسي أكثر من غيرهم؛ لأن الإيذاء الواقع عليهم يؤدي إلى الإنسحاب والتجنب، والتغيب عن المدرسة وانخفاض المشاركة الأكاديمية حتى يتجنبوا الإيذاء الواقع عليهم من البلطجية (Buhs & Herald, 2006).

التوافق الأسري

شعور الفرد بالأمان والتقبل داخل الأسرة، والقدرة على التفاعل بشكل إيجابي مع كافة أفرادها، وسلامة العلاقات بين الوالدين فيما بينهما، وفيما بين الأولاد، وبين الأولاد بعضهم البعض، حيث يسود الحب والثقة والاحترام المتبادل بين الجميع. وبالتالي يكون الشخص الذي يتعرض لبلطجة الآخرين ولا يشرك أسرته في معاناته غير متوافق أسرياً، وعلى العكس من ذلك من يتعرض للمضايقات ويلجأ لأسرته لحسم الأمور ووضع حلول لمشكلته سواء مع إدارة المدرسة أو مع الجهات القانونية.

أسباب سوء التوافق

وعلى العكس مما سبق فإن الشخص غير المتوافق هو ذلك الشخص الذي فقد القدرة على الموازنة بين حاجاته الشخصية من جانب، وبين متطلبات الواقع الاجتماعي من جانب آخر. هذا الشخص سيء التوافق أي أنه يظل عاجزاً عن الموازنة بين نفسه وبيئته، فهو يفتقد القدرة على الحلول السليمة للمشكلات التي قد تعترض حياته عجزاً يفوق ما يتوقعه من ذاته أو ما يأمله الآخرون منه.

وبحسب «فرويد» فإن التوافق يرجع إلى «الأنا»، حيث «الأنا» القوية تسيطر على «الهو» و«الأنا الأعلى» وتحدث توازن بينهما وبين الواقع، فالأنا الضعيفة لا تسيطر على الهو فتجعلها شخصية شهوانية وعدوانية تحاول إشباع غرائزها دون مراعاة الواقع، مما تؤدي إلى الانحراف، وفي حال عدم سيطرة الأنا على الأنا الأعلى تجعل الشخصية متشددة، وتشعر بالذنب المبالغ فيه، فتؤدي إلى الاضطراب وسوء التوافق، كما يعتبر «فرويد» أن التوافق نادر لدى الإنسان وأن بداية سوء التوافق ترجع إلى السنوات الخمس الأولى من عمر الفرد.

ويشير مخيمر (1980، 4) إلى أن مدرسة التحليل النفسي في قضية التوافق ترى أن هناك إهمالاً للواقع الاجتماعي والبيئي الذي يمثل القطب الثاني لعملية التوافق بعد البعد الشخصي الذي يمثل القطب الآخر، فالتوافق هو انسجام بين الهو والأنا والأنا الأعلى، ولكن أين يوجد الواقع الاجتماعي؟ إننا يمكن أن نلتمس إشارة له في الأنا الأعلى الذي كان هو محصلة لما يجب أن يكون عليه الفرد وما لا يجب أن يكون عليه الأنا المثالي (الضمير) وعلى

الرغم من إمكانية تواجد الوعي الاجتماعي في الأنا الأعلى، إلا أنه توجد في اللاشعور، ومن ثم فإننا نرى أن مدرسة التحليل النفسي قد ضيقت في مجال التوافق لتقصره على أضيق نطاق من التوافق النفسي، ومن ثم فإن هذا الاتجاه يضعف من الجانب الإرادي للفرد، وذلك باعتبار تحقيق توافقه مرهون بإشباع حاجاته، كما أنه اعتبر المحيط الخارجي طرفاً سلبياً في عملية التوافق، وجعل الإنسان وكأنه وعاء يعبأ بالتوترات أو يعمل على خفضها.

إن خفض التوتر هو محور تصور مدرسة التحليل النفسي لمفهوم التوافق، وهي ترى أن الشخصية السوية هي القادرة على الحب والعمل، والقادرة على التعامل مع مبدأ الواقع.

ويؤكد أدلر Adler أن الإنسان كائن يناضل من أجل الكمال، وأن الناس صنفان: صنف يناضل من أجل التفوق والعلو (متوافق)، وصنف يستسلم مستكيناً متقهقراً إلى الوراء (غير متوافق)، كما أن جوهر وجود الإنسان يكمن في عدم انفصاله عن المجتمع، بل هو مكون من مكوناته، ومن ثم كان تركيزه المستمر على الإنسان بما هو إنسان من حيث قدرته على تشكيل حياته وتقرير مصيره، والتغلب على دوافعه، وتطوير نفسه وتطوير العالم المحيط به، وقد اعتبر أن الاهتمام الاجتماعي يمثل معياراً مفيداً لقياس الصحة النفسية للفرد، وأن الأشخاص غير المتوافقين اجتماعياً يفتقرون إلى الاهتمام الاجتماعي، ويعيشون في مركز حاد على أنفسهم.

ثم افترض يونج Jung اللاشعور الجمعي الذي يعد انعكاساً لأفكارنا ومشاعرنا التي يشترك فيها الناس جميعاً، كما يرى أن اللاشعور الجمعي معبأ بإمكانات متواصلة بتواصل حلقات الزمان، وأنه يمكننا أن نبحت

عن إمكانات جديدة للحياة من اللاشعور، بينما أكدت هورني Horny على العوامل الاجتماعية وأهمية الحب الوالدي، وقد انتهت إلى وضع أنماط للتوافق السوي للفرد مع الآخرين والتي تتضمن السعي نحو الآخرين أو السعي ضدهم أو السعي بعيداً عنهم.

ثم كان تأكيد فروم Fromm على العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تشكيل شخصية الإنسان، وبالتالي فإن الفرد غير المتوافق يكف عن أن يكون نفسه، إنه يعتنق نوع الشخصية المقدمة إليه ويصبح كالألة بعد أن يتنازل عن فرديته، فيشعر بالوحدة والعجز والاغتراب، ولكي يواجه هذه المشاعر فإنه يتجه إلى المسيرة الآلية للمجتمع، وقد ينزع إلى التدمير والهدم، وقد يثبت بالسلوك التسلطي بجانبه السادي والماسوشي.

ومما لاشك فيه أن هذا الاتجاه الجديد في التحليل النفسي قد وضع الفرد في إطاره الاجتماعي بدلاً من تناوله في إطاره الفردي، ولعل هذا الاتجاه أفضل من الاتجاهات السابقة لأنه ربط الصحة النفسية للفرد بالصحة النفسية للمجتمع، فالأولى هي نتاج طبيعي للثانية.

كما يرى أصحاب المدرسة السلوكية أن التوافق هو نخط من المسيرة الاجتماعية؛ لأن المسيرة الاجتماعية من طبيعتها تجنب الصراع بين القوى الداخلية عند الفرد وضغوط الجماعة، أي خضوع الفرد لتلك الضغوط الصريحة والضمنية، فيحكم الفرد ويعتقد ويتصرف متفقاً مع أحكام وعقائد وتصرفات الجماعة. فالتوافق عملية مكتسبة عن طريق التعلم والخبرات التي يمر بها الفرد، والسلوك التوافقي يشتمل على خبرات تشير إلى كيفية الاستجابة لتحديات الحياة والتي سوف تقابل بالتعزيز أو التدعيم.

فالسوكية ترى أن أسباب السلوك تكمن في البيئة الحالية التي تحدث فيها المثيرات ويحدث فيها التدعيم والعقاب لاستجابات محددة لهذه المثيرات. وبمعنى آخر إن أسباب السلوك تكمن في عملية التعلم، أي العملية التي يتم بها تغيير سلوك الفرد في استجابته للبيئة. فالسلوك السوي وغير السوي هو نتيجة أنماط التعلم، وأن أنماط التعلم غير التكيفية هي السبب الرئيسي في اللاسوية النفسية. ولذلك قد يساعد إعادة التعلم Relearning في تغيير السلوك. لذلك يسعى العلاج السلوكي إلى تغيير الاستجابات من خلال نفس أنماط التعلم التي ساعدت على حدوثها أساساً.

بينما يرى أصحاب التيار الإنساني أن التوافق يقوم على تحقيق الفرد لذاته، فإذا لم يستطع الفرد أن يحقق ذاته سيكون غير متوافق، بالإضافة إلى أن التوافق لا يتحقق إلا إذا أشبعت الحاجات الأساسية للفرد، مثل الحاجات الفسيولوجية، وحاجات الأمان والحب والتقدير وتحقيق الذات.

ويشير ماسلو Maslow إلى أن التوافق يرتبط بتحقيق الذات، وأن الكائن الحي ينشط ليحقق إشباعاً لحاجاته، حيث يندفع الكائن الحي إلى إشباع الحاجات الأولية أو الفسيولوجية، فإذا أشبعها اختفت من مجال دافعيته وأفسحت المجال للمستوى الثاني من الدوافع، فإذا أشبع هذا المستوى أيضاً اختفى وأفسح المجال للمستوى الثالث وهكذا.. ويرى «ماسلو» أن سلوك الإنسان محكوماً بالدوافع غير المشبعة، فالفرد الذي يبحث عن التقدير والاحترام من الآخرين قد أشبع دافع الجوع، ولو لم يشبع هذا الدافع لما فكر في التقدير والاحترام ولصرف همه في البحث عن الطعام أولاً، ويوضح أن الشخص المتوافق يتصف بالتلقائية وتقبل

الذات وإدراك الواقع والاستقلال والعلاقات القوية مع عدد مختار من الأصدقاء.

ويرى بعض الباحثين أن سوء التوافق قد يكون حالة دائمة أو مؤقتة، تظهر في عجز الفرد وإخفاقه في حل مشكلاته اليومية، وخاصة الاجتماعية، إخفاقاً يزيد على ما ينتظره الغير منه، أو ما ينتظره هو من نفسه. ويشير «طلعت منصور» إلى أن الشخص سيء التوافق يفعل ما يريد دون أن يضع الآخرين في اعتباره، أو يفعل ما يحثه الآخرون عليه حتى وإن كان يعرف أن أفعاله خاطئة ولا تلقى استحساناً من جماعته، بينما الشخص حسن التوافق يتمتع بزيادة أخلاقي معنوي يوجه سلوكه في المواقف الاجتماعية ويحدد علاقته بالآخرين (في إبراهيم قشقوش، 2010، 34).

ويعتقد المؤلف أن من أسباب سوء التوافق عدم التسامح، فالتسامح يعني العيش مع الآخرين بسلام، ويتضمن تقبل أفكار الآخرين التي قد يختلف معها. وقد يكون هذا الآخر إنساناً أو فكرياً أو رأياً، ويتم التعبير عن هذا التقبل في شكل الاعتقاد بأحقية هذا الآخر في الوجود. هذا التسامح يبدو صعباً عندما يكون هناك تهديد بانحيار التعاون الاجتماعي، ومن الخطأ أن يقتصر استخدام المصطلح على مجال التباين الفكري فقط، بل لابد أن يتسع ليعطي التباينات الأخرى. أي يكون التسامح هو القبول والتعايش مع الآخر المختلف بما هو إنسان وليس بما هو ينسب إلى جماعة مغايرة، وإيماناً بأن التنوع طبيعي ومنطقي بل وضروري. وباختصار: أن نحيا نحن والآخرين على اختلافنا في عالم واحد يضمنا.

ولقد أشارت بيرنا (Berna 2007) إلى أن الطلاب الذين يتعرضون

للبلطجة من قبل الآخرين غير متوافقين نفسياً أو اجتماعياً، ويتجنبون التجمعات ويميلون إلى العزلة حتى أصبحوا انطوائيين، وذلك لأن الصداقة غالباً تكون قائمة على أساس المعاملة بالمثل والحب المتبادل، والتوافق بين الفرد وأصدقائه. كما أوضحت الدراسات وجود علاقة دالة بين الصداقة الحميمة والتوافق النفسي والاجتماعي على السواء (Sebanc, 2003).

علاوة على وجود دراسات مقارنة بين مجموعات من الأصدقاء هدفت إلى المقارنة بين الشباب المنتمين لأصدقاء والمنعزلين، من حيث التوافق النفسي والاجتماعي، وقد بينت أن الأشخاص المنخرطين في مجموعات من الأصدقاء لديهم توافق أعلى بكثير من غيرهم غير المنتمين إلى أصدقاء (Berna, Cornelis F, et al 2007). ومع ذلك فقد أجريت دراسات على الطلاب المتسمين بسلوكات البلطجة لمعرفة مدى توافقهم النفسي والاجتماعي، فأوضحت أن بعضهم متوافقين نفسياً فيما بينهم، وراضين بسلوكاتهم العدوانية، بينما لم يظهر أي توافق اجتماعي، وأنهم ساخطين على المجتمع برغم الألفة التي تجمعهم (Sebanc, 2003). وقد بينت الدراسة التي قامت بها كارلين وآخرون (2007) لمعرفة مدى تأثير الآباء والأقران على تكيف الأبناء النفسي والاجتماعي في مرحلة المراهقة، وقد بينت النتائج أن الأشخاص الذين نشئوا في ظل الأسرة المكونة من الأب والأم معاً كانوا أكثر توافقاً من غيرهم الذين يعيشون مع الوالد فقط أو الأم فقط، بسبب الانفصال، أو بسبب الوفاة، كما أن المعاملة الوالدية السيئة كانت سبباً في حصول المفحوصين على درجات منخفضة على مقياس التوافق، وقد امتد تأثير الأسرة على أبنائها في مدى علاقتهم بأصدقائهم.

ويرى المؤلف أن هذه النتائج تتوافق تماماً مع ما قاله "فروم" من قبل من أن الأسرة ومن ورائها المجتمع مسئولة عن التنشئة الاجتماعية للفرد، وأن الصحة النفسية للفرد رهن بتوفير معاملة متوازنة مشبعة بالحب والاحترام والحنان في الأسرة. ومن أهم عوامل إحداث التوافق النفسي المباشرة تحقيق مطالب النمو النفسي في جميع مراحلها، وفي مرحلة المراهقة يجب تكوين علاقات جديدة طيبة ناضجة مع رفاق السن من الجنسين، ونمو الثقة في الذات، والشعور الواضح بكيان الفرد، وتقبل المسؤولية الاجتماعية، وامتداد الاهتمامات إلى خارج حدود الذات، وضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي، وتكوين المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك في الحياة المدنية للمجتمع، ومعرفة السلوك الاجتماعي المقبول الذي يقوم على المسؤولية، واكتساب قيم مختارة ناضجة تتفق مع الصور العملية للعالم الذي نعيش فيه.

وعن التوافق الاجتماعي أجرى بارك Park (2006) دراسة عن علاقة التدين بتقييم الضغوط التي تواجه الفرد، وأساليب المواجهة لتحقيق التوافق الاجتماعي، وقد ظهرت ارتباطات دالة موجبة بين التدين وأساليب مواجهة الضغوط النفسية والتوافق الاجتماعي. وقد توصل كلا من هامبل وبيترمان Hampel & Petermann (2005) إلى أن المراهقين يستخدمون استراتيجيات غير توافقية مثل السلوك العدواني للتعامل مع الضغوط بدرجة أعلى من استخدامهم للإستراتيجيات التوافقية من التجاهل أو الحديث والتعليقات الإيجابية مع الذات مما يسبب لهم سوء التوافق مع الآخرين.

أثر سلوكيات البلطجة على البلطجي والضحية

إن العواقب السلبية للبلطجة بالنسبة لكثير من المراهقين تمتد إلى مرحلة ما بعد المراهقة. ومن المشكلات المتعلقة بالبلطجة كان القلق والاكتئاب والسلوك الانتحاري (Olweus, 1993). وعلى الرغم من انتشار الاكتئاب بصفة عامة بين المراهقين، إلا أن النسبة تزداد بين المراهقين الضحايا الذين يتعرض لهم البلطجي.

كما أن سلوكيات البلطجة لها أثر سيء وضار على كل من البلطجي والضحية على السواء، على الرغم مما قد يبدو للبعض أن عواقبها وخيمة على الضحية فقط، بينما الواقع يثبت عكس ذلك تمامًا، إذ بينت الدراسات أن العواقب السيئة للبلطجة تقع على البلطجي نفسه، ففي دراسة أوليوس (Olweus, 1993) أن ارتفاع معدل التسرب من التعليم كان من نصيب البلطجية والضحايا على حد سواء، فإذا كان الضحايا يتسربون من المدرسة خوفًا من البلطجية، فإن البلطجية يتسربون من المدرسة لعدم اهتمامهم بالتعليم، وانشغالهم بالحق الأذى للآخرين.

كما ناقشت الأدبيات آثار سلوكيات البلطجة بشكل منفصل من حيث ارتباطها بثلاث مجموعات من الأفراد: البلطجية، والضحايا، والبلطجية الضحايا. وتبين تأثير الجميع في صحتهم الجسدية والنفسية وتوافقهم الشخصي والاجتماعي فضلاً عن تحصيلهم الأكاديمي. وعند المقارنة بين البلطجية وضحاياهم ثبت أن الضحايا الذين يتعرضون للإيذاء المتكرر يشعرون بتدني احترام الذات، وارتفاع مستوى القلق والاكتئاب، والمشكلات الأكاديمية،

والتفكير في الانتحار، وارتفاع مستويات انعدام الأمن، والشعور بالوحدة والحزن، فضلاً عن الأعراض الجسدية والعقلية.

بينما تبين أن الطلاب البلطجية أكثر تعرضاً للانخراط في السلوك المعادي للمجتمع والتغيب عن المدرسة والجنوح وتعاطي المخدرات، وخاصة في مرحلة المراهقة، وبالتالي فهم أكثر تعرضاً للاضطرابات النفسية (Gini & Pozzoli, 2009). كما أن الأولاد الذين يتعرضون للبلطجة من قبل الآخرين بما يعادل أربع أو خمس مرات يكونون أكثر عرضة للانتحار من غيرهم.

إن البلطجة لها عواقب وخيمة على الضحية، فلها تأثير سيء على الحالة البدنية كما أن تأثيرها النفسي أسوأ بكثير، حيث يتدنّى احترام الذات، وينتشر الاكتئاب. كما أن المشاركة في البلطجة على الآخرين يؤدي إلى تنشئة اجتماعية وسط مجموعة من الأقران الجانحين التي تشارك في سلوكات لا قيمة لها. وتشير الأبحاث إلى أن ضحايا البلطجة بالإضافة إلى أنهم يشعرون بالاكتئاب فإنهم يعانون من الشعور بالوحدة.

وهناك العديد من الأسباب التي تجعل الاهتمام كبيراً بهذه المشكلة في الوسط المدرسي. حيث يشير Olweus & Limber (1999) إلى التأثيرات قصيرة المدى وبعيدة المدى على الضحية سواء في الجانب التعليمي أو الجانب النفسي أو الاجتماعي، وكذلك على الأفراد الذين يقومون بأعمال البلطجة، وبالإضافة إلى ذلك فإن اهتمامنا بالمشكلة من دور المدرسة في تحقيق الترابط الاجتماعي بين أعضائها وكذلك دورها كمؤسسة تعليمية، ويمكن طرح هذه التأثيرات في النقاط التالية:

(أ) التأثيرات قصيرة المدى على الصحة: تجعل خبرات البلطجة الضحايا

يشعرون بعدم السعادة، والضيق والارتياح وفقدان تقدير الذات والقلق وعدم الأمان. علاوة على ذلك فإن مثل هؤلاء التلاميذ يعانون من الإصابة الجسمية وقد يتأثر تركيزهم وتعلمهم، وقد يرفضون الذهاب إلى المدرسة، ويميلون إلى الشعور بالخجل وعدم الجاذبية ويبدؤون في النظر إلى أنفسهم على أنهم فاشلون. وفي بعض الأحيان يرى مثل هؤلاء التلاميذ أن الانتحار هو السبيل الوحيد.

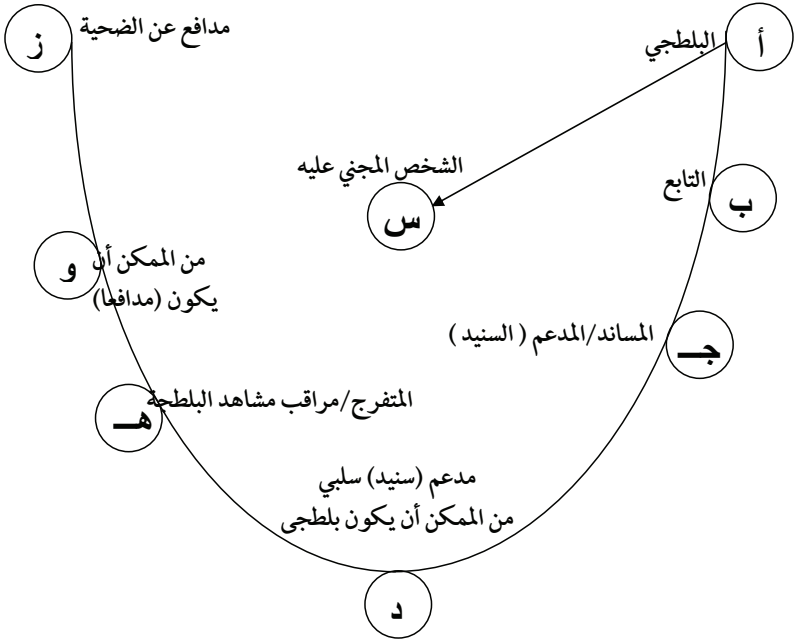
(ب) التأثيرات طويلة المدى على الضحايا: الأطفال الذين يتعرضون للبلطجة أثناء سنوات الدراسة المبكرة يميلون إلى الانفعال وامتلاك تقدير ذات ضعيف عندما يصلون لسن الشباب.

(ج) التأثيرات طويلة المدى على الأفراد الذين يقومون بأعمال البلطجة: تؤكد الأبحاث أن التلاميذ الذين يقومون بأعمال البلطجة لديهم اتجاهات إيجابية نحو العنف وخصوصاً كوسائل لحل المشكلات أو للحصول على ما يريدون، ويميلون إلى القيام بسلوكات أخرى جانحة وسلوكيات مضادة للمجتمع مثل السطو على المحال التجارية، والإهمال في المدرسة، واستخدام المخدرات، والتخريب المتعمد للممتلكات.

(د) المناخ الاجتماعي للمدرسة: في المدارس التي تتميز بمستويات عالية من مشكلات البلطجة يميل التلاميذ إلى الشعور بأمان أقل كما أنهم لا يشعرون بالرضا عن الحياة المدرسية التي يعيشونها. ويؤكد ذلك بالنسبة للعديد من التلاميذ وخاصة الضحايا أن حجرة الدراسة لم تعد مكاناً للعمل والتعلم.

وقد يكون للمناخ المدرسي الذي يتميز بوجود مشكلات عديدة بسبب البلطجة تأثيرات أخرى سلبية. فمن الطبيعي أن نفترض أن معظم التلاميذ في المدرسة أو الفصل يتأثرون بالمشكلات النابعة من العلاقات بين البلطجي والضحية، فعلى سبيل المثال إذا شاهد تلميذ سلوكاً بلطجياً يمر دون رقابة، فإن هذا قد يؤدي به إلى النظر إلى سلوك البلطجة على أنه مقبول. وبمرور الوقت قد يؤدي ذلك إلى شيوع مناخ اجتماعي أكثر قسوة وأقل تعاطفاً. وعلى العكس من ذلك، فإن حجرات الدراسة والمدارس التي يسودها المناخ الاجتماعي الإيجابي والود، تؤدي إلى استنباط وتشجيع أنماط ردود أفعال مختلفة لدى التلاميذ.

ولهذا فمن الضرورة عند وقوع أعمال بلطجة من أحد التلاميذ أن نشرك التلاميذ الآخرين حتى نضمن التأثير في وجهات نظرهم تجاه سلوك البلطجة. ويصوّر الشكل التالي الأدوار المختلفة والاتجاهات ذات الصلة بها التي يتبناها التلاميذ الآخرون في المدرسة أو الفصل تجاه موقف بلطجة صريح، ويمكن أن نطلق على ذلك اسم دائرة البلطجة.



شكل (2): دائرة البلطجة

حيث:

- (أ) هو الذي يبدأ بأعمال البلطجة وله دور فعال.
- (ب) له دور فعال في البلطجة ولكنه لا يبدأ بفعل.
- (ج) يساند/يدعم وليس له دور في أعمال البلطجة.
- (د) يحب البلطجة ولكنه لا يظهر مساندة صريحة.
- (هـ) يشاهد ما يحدث ولا يأخذ موقف، يعتقد أنه ليس من شأنه التدخل.
- (و) يكره البلطجة ويعتقد أن عليه أن من الواجب تقديم المساعدة، ولكنه لا يساعد.
- (ز) يكره البلطجة ويساعد أو يحاول أن يساعد الضحية.